حول رأس حمار ! .

عزيزى الأستاذ أحمد العدوانى :

حين شكرتك على قصيدتك الرائعة « رأس حمار ! » التى نشرت فى العدد الماضى من البعثة وأثنيت على موهبتك الشعرية التى ذكرت لك أنها فريدة فى نوعها فى الكويت ، وحين قال لك صديق كان حاضراً معنا أننى مع إعجابى العظيم بها « أنتقد » فكرة عنوان القصيدة أنبريت أنا أصحح ما قاله الصديق ، وأعترض على كلمة « أنتقد » وأن الأصح أننى « أقترح » فقط .

وأوجزت اقتراحى ذاك بكلمتين مقتضبتين ، ولكن موقفك الرائع من « الاقتراح » وما تلاه من حديث بيننا دفعنى إلى كتابة هذه الكلمة مسجلاً إعجابى وإعجاب القراء بقصيدتك ، فقد أدهشنا هذا السمو فى شعرنا الحديث نحن الذين لم نقرأ شعراً كويتياً بهذه القوة فى الفكرة ، ولا هذه الطرافة فى التعبير ، ولقد أحببت كذلك أن أشرح اقتراحى أو نقدى ، سمه ما شئت ، ولأضيف إليه أشياء تدور فى الخاطر الكليل .

يقسم أرسطو الأدب فى كتابه « الشعر » إلى ثلاثة أقسام ، فهو عنده إما ملاحم أو مآسى أو « كوميديا » . وتقسيم أرسطو هذا قديم كما هو معروف ، ولكن أدباء الغرب لا يزالون يتمسكون به ويتخذونه مقياساً أساسياً للإنتاج الفنى ، ومن ثم فقد رفضوا أن ينزلوا الأدب

تتعاون معاً للنهوض باللعب ، ولا يحصل النهوض فى أى أمة إلا إذا كان أبناؤها (كالبنيان يشد بعضه بعضا) ولا يتأتى أى تفوق وازدهار فى الرياضة وغيرها ، إلا إذا قامت الحكومة وأصحاب المناصب العالية بتشجيع الرياضة ، وذلك بجمع الإعانات والتبرعات وإقامة الحفلات . وإنشاء الملاعب وإرسال البعثات الكثيرة إلى الخارج للاطلاع على الأنظمة الرياضية ليعودوا فيصلحوا مايجب إصلاحه . وفق الله الجميع .

المحرر — نحن نشكر الزميل ونشاركه فى دعائه ونؤيده فى اقتراحاته . ولعل الزميل حين يقرأ الندوة يطمئن إلى قولى .

أخبار رياضية:

● تبارى فريق المعارف مع الفريق الأهلى على كأس سعادة رئيس المعارف الشيخ عبد الله الجابر الصباح ، وفاز فريق المعارف بإصابة واحدة ضد لا شيء . وقد أقيمت هذه المباراة تحت رعاية سعادة الشيخ عبد الله المبارك الصباح وحضرها جمع غفير من المتفرجين .

● بعد انتهاء المباراة بين فريق المعارف وفريق الأهلى وزع سعادة الشيخ عبد الله المبارك الصباح الميداليات على الفائزين .

● من الطرائف الرياضية أن ملاكمة أقيمت بين (ديف ساندر) الملاكم الاسترالى متحدى بطل العالم فى وزن المتوسط مع الملاكم (ترينييداد) ومن الطرائف أن ينتهى الملاكمان إلى المستشفى للعلاج ولا نتيجة للمباراة ؟!!

● سألنى زميل عن أول اتحاد أنشيء لكرة القدم فى العالم ، ومتى أنشيء الاتحاد الدولى ، ثم متى أنشيء الاتحاد المصرى ؟ والجواب على ذلك أن أول اتحاد أنشيء لكرة القدم هو اتحاد انجلترا فى سنة ١٨٦٣ أما الاتحاد الدولى فأنشيء سنة ١٩٠٤ أما الاتحاد المصرى المختلط فقد أنشيء سنة ١٩١٠ وأنشيء الاتحاد المصرى الوطنى سنة ١٩٢١ .

● أهدى السيد أحمد الغربللى كأساً فضية تتبارى عليه المدارس الابتدائية دورياً فى ألعاب كرة القدم والسلة والطائرة وكرة المنضدة . وتفوز بالكأس المدرسة التى تحرز أكبر عدد من النقط . ونحن لا يسعنا إلا شكر السيد أحمد الغربللى على تشجيعه للرياضة بين ناشئينا الذين هم فى أمس الحاجة إلى التشجيع والاهتمام .

● أقيمت مباراة بين الفريق الأهلى وفريق المدرسة المباركية فى كرة القدم ، وانتهت بتعادل الفريقين بأصابتين لكل منهما ، وقد سجل الإصابات للأهلى الزميلان إبراهيم المواش وناصر الطخيم ، وسجل إصابتين لفريق المباركية الزميل محمد الحمد .

العربى منزلة المساواة مع الآداب الراقية ، ذلك لأن أهم العناصر الضرورية فى الملاحم والمآسى « والكوميديا » عنصر القصة ، أو الوقائع المربوطة التى تقوم على مقدمات وحوادث ، ثم نتائج تنتهى إما نهاية ملحمة أو مأساة أو « كوميديا » والشعر العربى لا يهتم بهذه الناحية قط ، ولا يلتفت إليها حتى فى بعض الشعر العربى القديم الذى قد يصح أن نعده فى بعض الملاحم مثلا ، لأننا نعرف أسبابه وظروفه التاريخية والاجتماعية ، ونفهمها من التاريخ لا من الشعر نفسه . وعنصر القصة أو الوقائع المربوطة يلتزم وحدة القصيد إذا كان شعراً ، وتتابع الحوادث وتقييدها إذا كان نثراً ، والغربيون يأخذون على شعرنا ونثرنا أنه لا يتقيد بهذه الحدود ، وإنما يقوم على الأسلوب القوى ، وروعة المعانى المفردة ، ووحدة البيت فقط بحيث أن فى الإمكان التغيير فى قصيدة عربية تقديماً وتأخيراً وحذفاً دون أن يطرأ على القصيدة أى تغيير . والملاحم أو المآسى أو «الكوميديا» عكس ذلك تماماً فهى لا تقبل التغيير مطلقاً .

سقت هذا البحث القصير ليتسنى لى القول بأن منحاك الشعرى ياصديقى هو منحى غريب لأنه يلتزم وحدة القصيد ، فهو يعتمد على التقسيم الغربى للآداب إذن ، وإنتاجك المنشور يشهد لى بذلك ، وعليه فقد حددت وجهتك الفنية بأنها وجهة غربية وأنا أوافقك على اختيارك هذا الطريق الفنى موافقة تامة .

فإذا خلصت إلى هذه النتيجة فقد وصلت إلى أن أول شرائط هذا المنهج الفنى الذى اتخذته لنفسك الاعتماد على روعة الخلاصة فى الفكرة الشعرية ، فأنت كشاعر تتفق مع كاتب القصة على ضرورة إخفاء النتائج الفنية حتى النهاية لتتم الروعة والإمتاع ، فالقصصى يحذر دائماً أن تدرك قصده أو فكرته — بمعنى أدق — فى قصة بمجرد قراءتك عنوانها أو بدايتها ، وهكذا فقد كان اعتراضى على « رائعتك » أنك عنونتها بما يفضح فكرتها لقد سميتها « رأس حمار ! » فما كدنا نقرأ البيتين الأولين حتى أدركنا القصد ، وعرفنا الخلاصة .

فكرت فى هذا كله حين قرأت قصيدتك تلك ، ولكنى أحجمت عن أن أقول شيئا . . . كنت حريصاً على صداقتك ، ضنيناً بمصاحبتك ، وقد جربت فى بعض أدبائنا مشاعر من زجاج ، وعواطف من حرير ، فما كدت أقرب من إنتاجهم أقلبه وأستطلعه حتى انفجرت براكين لا أزال أسأل الله السلامة منها ، فهم يضعون إنتاجهم ثم يلفونه فى أغماط غريبة لفاً محكماً وينشرونه على الناس وقد اطمأنوا إلى عظمة إنتاجهم وسموه ، فإذا حاول البعض أن يفك عن جنينه لفائفه ثاروا فى وجهه ثورة العاطفة التى لا تقدر أن للناس حق التقدم من السر وكشفه ليرواهل وراءه فيلاً ضخماً ، أم هو مجرد «رأس حمار!» فهم يريدون أن يكتبوا على شرط أن لا يسألهم القارىء عن هذا الذى يكتبون وهذا هو علة جمودنا ، والسبب الرئيسى فى تأخر أدبنا .

أما أنت فبمثلك أؤمن أنا وجمهرة القراء فى أن لدينا أدباء شجعان ينتجون وينشرون ما ينتجون ثم يستعدون لقبول الملاحظات والمقترحات وحتى النقد الشديد بصدور رحبة واستعداد تام للمناقشة الهادئة الرزينة التى هى أكبر مقوم للحقائق ، وأعظم دافع للإبداع .

وبعد فلا بد — كما ترى — من أن أذكر أن مدحى وثنائى وإعجابى بقصيدتك يفوق كل حد ، ويتخطى كل قياس ، وهو بعد هذا خال من الغرض ، بعيد عن الهوى ، وحجتى فى ذلك أنك شاعر تحلق فى السماء . . . حيث لا تراب .

مناظرة :

أقيمت مساء يوم الخميس ٦ ديسمبر ١٩٥١ مناظرة فى فناء المدرسة المباركية بين أستاذين من المدرسين اشترك فيها المستمعون وكان موضوعها « العالم العربى اليوم أحوج إلى أدباء منه إلى علماء » . وقد دارت مناقشات طويلة حول ذلك بين الأستاذين ثم بين تلميذين فى المرحلة الثانوية أحدهما يناصر الأدب والآخر يناصر العلم ، وانقسم المستمعون إلى قسمين أيضاً ، كل منهما يناصر وجهة من الوجهتين . وكان لكل فريق حججه القوية .

قال مناصروا العلم : إن البلاد العربية بحاجة إلى علماء. فهى أفقر بقاع الأرض فى هذه الفئة ، وإن التأخر الذى نعانيه إنما هو نتيجة هذا الجهل — العلمى المطبق — إن صح هذا التعبير بين الأفراد والشعوب ، ونقصها الفاضح بعلوم الآلة والكيمياء والاقتصاد . . الخ . .

وقال مناصروا الأدب : صحيح أننا نعيش وسط جهالة علمية ، ولكن هذه الجهالة جاءت نتيجة لانعدام الشعور الواعى ، وإدراك القيم الذاتية عند الشعوب العربية ، ولن يقضى على تلك الجهالة إلا الأدباء الذين يستنهضون الهمم ، ويشحذون العزائم ، ويضعون أيدى تلك الشعوب على المساوىء والنقائص التى تعيش فيها ، ومتى وعت تلك الشعوب وقدرت قيم الحياة تقديراً صحيحاً فحينئذ يجىء دور العلم والعلماء فى بناء الكيان الحضارى للشعوب ، وإذن فنحن فى حاجة إلى أدباء أولا .

وقال مناصروا العلم : إن استنهاض أو ايقاظ الشعوب العربية قد تكفل به القرآن الذى هو أقوى محرك روحى وباعث للشعور ، كما أنه دستور اجتماعى مثالى كفيل بأن يهدى إلى سواء السبيل وحده دون حاجة إلى أدب وأدباء ، وإنما الناس فى المجتمعات العربية بحاجة إلى العلم الذى ييسر سبل الكشف عن كنوز الحياة المادية لما فيه خير العالم العربى .

وقال أولئك ، وقال هؤلاء ، وتشعب الموضوع بوجهات النظر ، ثم أخذت الأصوات ، فانحاز بجانب الضرورة إلى العلم ما يقارب أربعة أضعاف من انحازوا بجانب الضرورة إلى الأدب ، وهكذا انتصر العلماء .

وأنا أعتقد أن هذا خطأ .

خطأ لأنهم لم يلتفتوا إلى أنهم حددوا البيئة التى يتناقشون حولها بالعالم العربى ، فقد نتج عن ذلك أنهم وقعوا فى أفحش الأخطاء ، لأنهم استبعدوا فكرة . « التماثل » أو « التكافؤ » فى « الأطوار الاجتماعية » للعالم العربى .

وإذن فقد كان موضوع المناظرة على هذا النحو خطأ من أساسه ، لأنه يوحد الحاجة . . حاجة العلم أو حاجة الأدب فى العالم العربى كله دفعة واحدة ، وبدون تحديد . فالعالم العربى يعنى كل البلاد التى تقع فى غرب إفريقيا إلى بحر الهند ، ومن اليمن حتى تركيا ، ومعروف أن هناك فوارق كبيرة بين هذه البلاد بعضها البعض فى كل نواحى الحياة . وما دامت كذلك فإن كفايتها أو حاجتها التى تحتمها الضرورة تختلف باختلاف تلك النواحى .

هناك بيئات عربية جاهلة أمية متأخرة منحطة ، ومثل هذه البيئات بحاجة إلى أدباء ومربين أمثال (فولتير وروسو) لينهضوا الهمم ، ويثيروا الشعور والوعى ، ويعلموا الناس القيم الإنسانية ، وحقوق الإنسان وكرامته أكثر من احتياجها للعلماء والمخترعين .

وهناك بيئات متعلمة مثقفة ولكن علمها وثقافتها تتجه كلها أو جلها وجهة أدبية أكثر منها علمية ، فتجد أدباءها أكثر من علمائها . ومثل هذه البيئات بحاجة إلى مثل (غاليليو وإديسون) أكثر من احتياجها إلى أدباء ، أو توجيه أدبى .

وإذن فيجب الفصل بين حاجة بلد من البلدان العربية ، وحاجة بلد آخر منها ، وإذن فيجب أن يحدد موضوع المناظرة تحديداً جغرافياً دقيقاً . حتى يمكن المفاضلة بين حاجة ضرورية لبلد من البلدان وبين حاجة ضرورية لبلد آخر .

وربما قال قائل إن المقصود فى موضوع المناظرة هو الوجهة العامة للعالم العربى كله ، وهذا قول بيِّن الضعف ما دمنا نحاول تشخيص عللنا وأمراضنا ، فالطبيب يخطىء حين يترك العضو المريض ليعالج جسماً بأكمله من وجهة عامة .

وأخيراً فقد كان فى المناظرة طرافة ومتعة ونحن إذ نشكر إدارة المدرسة المباركية عليها نأمل أن تثابر على نشاطها الثقافى القيم الذى بدأته منذ شهر .

(الكويت) فهد الدويرى